ان زعم مثل هذا الزعم تجاوز حد القياس الشرعي لسبب استخراجه نتيجة اعظم من مضمون المقدّمات. فكان الاحرى بالكاتب الاديب ان يبرهن رأيه ببراهين اخرى اقوى او ان يأتي على توطيده ببعض التعبير فيفرز مثلاً بين ارهبان الاقدمين المتنسّكين الى دير مار مارون الناسك وبين القوم الذين اتخذوا لانفسهم تسمية الوارثة في كرور الايام. الّا ان المسألة ليست بجليّة والبحث فيها يقتضي لا تسويد بعض الاسطر بل التعمّق في درس التواريخ وتدوين المقالات الطوال كما فعل العلّامة الدويهي

وعلى كل حال فلا نرى حاجة الى الاعراض عن رأي هذا المؤرخ الشهير. وهذا اقرب الى الصواب وابعد من الشبهات

السوسن

للاب برنس ماترن البسوعي

المراد بالسوسن ما يدعوهُ اهل الشام بالزنبق وهو نبات شاع في هذه البلاد فسقطت محاسنهُ في عيون اهلها جرياً على قول المثل انّ الشيء اذا كثر ذلّ

وما احقّ هذا الزهر بان يُعلى مقامهُ ويُرفع شأنهُ وهو سيّد المُلك النباتي كما وصفهُ العلّامة الشهير لِناي (Linné). ولعمري انّ للسوسن خواصّ تؤهّلهُ بهذا الوصف ألا تراهُ كيف يميس فوق ساقهِ وينتصب متبختراً تُحدق به اوراق شديدة الخضرة ناعمة حسنة الشكل وتكلّلهُ زهرةٌ ساطعة البياض على هيئة كأس تخرجُ من وسطهِ سهامٌ ذهبيّة صفراء. امّا رائحتهُ فانّها تعطّر الارجاء بطيب شذاها. فهذه الصفات التي حملت كثيراً من ارباب الفلاحة واهل البساتين على ان يهتمّوا بزراعة السوسن ويجعلوا لهُ الرتبة الاولى في مصافّ الزهور. فصار الآن ينمو زاهياً في اكثر البلاد بعد ان كان منحصراً في بعضها

ومن عجيب امر السوسن انهُ كان معدوداً منذ بضعة سنين بين زهور البساتين فقط ولم يعرف النباتيّون انّهُ من الاعشاب البرّيّة التي تنبت طوعاً في الجبال. ومن نتائج وَهمهم هذا انّهم اعتدّوا السوسن المذكور في الكتب المقدّسة وفي كتب الاقدمين غير السوسن الابيض

على انّ المحدثين من اهل البحث تثبّتوا الامر في هذه السنين الاخيرة فتحقّقوا

غاطهم بعد ان وجدوا في جبال لبنان شيئاً كثيراً من زنابق الحقل نامية من تلقاء ذاتها (١)

ولمَّا كان شهر ايار هو شهر السوسن أحببنا ان نخوض في هذا الموضوع فنذكر بالايجاز شيئاً عن امر السوسن وخواصهِ وتاريخهِ ومنافعهِ فيزيد اعتبار اهل بلادنا لهذه الزهرة الجميلة ويقفوا على خواصها

١ اسم السوسن وانواعهُ

السُّوسن ويقال سَوسَن وسُوسان لفظة معرَّبة عن السريانيَّة شمشّا وهي ايضاً مشتقَّة من العبرانيَّة ششّان واصلُ هذه لُغات من لغات اخرى سامية. فانك تجد في اللغات الهنديَّة والمصريَّة والفينيقيَّة ألفاظاً تشبه الكلمة العبرانيَّة لفظاً ومعنًى. والمراد بالسوسن اجمالاً نباتٌ ذو رائحة طيِّبة. ثمَّ أُطلق على انواع معروفة من النبات

وقد جاء في مفردات ابن البيطار وصفٌ للسوسن يُشعر بانَّ هذا الاسم عم فصائل كثيرة من النبات من جملتها السوسن الابيض الذي نحن بصددهِ. قال ابن البيطار: « ونسميهِ السوسن الازاد ». والبعض يدعون بالسوسن ما يسميهِ الفرنج إيريس (iris) وهو نبات ذو زهر اسمانجوني اللون اما السوسن الابيض فيسمُّونهُ الزنبق تعريب « زَنبه » الفارسيَّة. غير انَّ الزَّنبق دلالتهُ في اللغة على دهن الياسمين (راجع اللسان)

والسوسن الابيض نفسهُ متنوِّع. يختلفُ بطول ساقهِ وعرض ورقهِ وصورة زهرهِ. اما نحن فنحصر كلامنا هنا على سوسن الجبال المعروف في هذه البلاد

٢ وصف السوسن الابيض

اصل السوسن بصلةٌ حرشفيَّة يخرج منها في اسفلها عدَّة اوراق عريضة غمديَّة الشكل وينبت من وسطها ساقٌ او اكثر يبلغ طولها من متر الى مترين وفي اعلاها زهرة او زهرات مسدَّسة التقاطيع متساوية الاوراق تبتدئ بانبوبٍ ثمَّ تنفتح على شكل الاجراس وهي تنحصر غالباً في عدَّة اقلام رفيعة منضمَّة الى بعضها ذات غلافين أصفرَين

---

(١) راجع النسخة الاخيرة من كتاب النبات الشرقي لبواسيار - Boissier : *Flora Orien talis* وكتاب نبات سوريَّة وفلسطين وطور سينا للدكتور پوست Post : *Flora of Syria*, ومقالين حسنين للابوين اليسوعيَّين جوليان وفونك P. M. Jullien : *Palestine and Sinaï* *Egypte, Souvenirs bibliques* ; Fonck : *Die biblische Lilie*

عليهما زنبر ناعمٌ هو مادَّتُهُ الملقّحة وبين الاقلام قضيب مثلّث الرأس يتكوّن فيه البزر وتنتشر من الزهرة ريح عَطرة تملأ الخياشيم بارَجها

٣ موطن السوسن

قد سرَّ انَ النباتيين وَهموا في تعريف موطن السوسن فظنُّوا انَّهُ لا يأتي في ما سوى الجنائن مزروعاً بيد الزرّاعين. وما لا شبهة فيهِ انَّ السوسن البرّيّ كثير في انحاء سوريَّة لاسيَّما في لبنان. فانّنا قد رأينا مرارًا اهل كسروان يجنون منهُ طاقات ليزيّنوا بهِ مذابح كنائسهم. وهو ينبت عادة في الجبال الوعرة او في صدوع الصخور العالية الصعبة المُرتقى محدقًا بضروب النبات الشائك الذي يحدق بهِ كسياج يصونهُ من ايدي المجتنين. وهو كثير في التلال المشرفة على قرى غزير ودلبتا وشنعير لاسيَّما في مشارف سيّدة الحقلة. فعندما تنقشع سُحُب الشتاء في اوائل الربيع وتحمى التربة ترى الورق ينبت من بصال الزنبق ثمَّ تخرج من وسطها ساقٌ لا تزال تعلو وتسمق بوقت سريع حتى تبلغ في نيسان ذراعين او ثلاث اذرع. ويتفتَّح زهرها في اواخر هذا الشهر وفي اثناء ايّار الّا انَّ كلَّ زهرة لا تدوم سوى ثمانية ايّام فتراها تذبل وتذوي بعد ذلك وتنشف. وقد احصينا في رأس ساق واحدة فوق العشر زهرات كلها تروع النظر وتسبي القلب

ولا يختلف سوسن لبنان البرّي عن سوسن الحدائق الاوربيَّة الّا بصغر ورقهِ وبطول مدَّة زهورهِ لانَّ زهورهُ تتوالى في طبقات الجبل مدَّة نحو ثلاثة اشهر. وعبيرهُ ازكى من عبير السوسن الاهليّ

وينبت ايضًا السوسن في الوهاد والوديان في مواضع كثيرة من مقاطعة كسروان ويسمّى الوادي الذي فيهِ مدرسة عين ورقة وادي الزنبق لكثرة نموّهِ هنالك. ومن المواضع التي يكثر فيها السوسن جبل موسى شمالي شرقيّ غزير بين وادي الذهب ووادي ابراهيم فترى في منعطفهِ حقولًا كأنَّها زُرعت بالزنابق تعمُّدًا وطولها اربعون مترًا في مثلها عرضًا. وقد زرنا هذه الحقول فاخذنا العجب من بهائها الغريب. ويزهو ايضًا السوسن ناميًا في جهات يحشوش وجهات فيطرون وبلاد جبيل خصوصًا بين صخور قرية فقال

واذا توغّلت الجبل صاعدًا الى الصنّين وجدت السوسن عند ضيعتي مزرعة كفرديان

ودارِيًا. وكذلك في جبل ريحان المشرف على صيداء. ولعلَّ اسمهُ مشتقٌّ من رائحة زنبقهِ الفائحة. واذا تقدَّمت الى جهات صرفند عند نهر الزهراني لقيتَ منهُ كميَّة وافرة. وقد اخبرنا الثقة من المرسلين انَّهم وجدوا السوسن الابيض في وادي العزِّيَّة في جنوبي شرقي صور وفي بلاد البشارة يُحمل منهُ حمول لطواف القربان الاقدس ولزينة الهياكل. ولا يخلو منهُ جبل الكرمل وجبال الجليل والسامرة (١ كما روى كثيرون من السيَّاح. على انَّ السوسن في فلسطين اقلّ منهُ في لبنان ولعلَّ آثارهُ ستفنى قريبًا من فلسطين لانَّ الاهلين يقتلعون زهورهُ مع اصولها فلا تعود تنمو ثانيةً

٢ تاريخ السوسن

للسوسن تاريخ جليل يفرزهُ عمَّا سواهُ من الزهور. فانَّ صورتهُ الجميلة وانتصاب ساقهِ فوق الحضيض وبياضهُ اليقق جعلتهُ معشوقًا لدى الناس وكان الوثنيُّون يقرِّبونهُ الى آلهتهم تدينًا ويزعمون انَّهُ تكوَّن من حليب إلهةٍ. امَّا النصارى فقد اتَّخذوهُ رمزًا عن العفَّة وطهارة القلب. وبهِ تسمَّت سوسنَّة العفيفة المذكورة في سفر دانيال. وكان اهل الحِرَف في سالف الزمان يرسمون شكلهُ في اصطناع الحليّ. وقد ذُكر السوسن بين مصاغات يهوديت لمَّا خرجت الى هولوفرن (يه ١٠: ٣)

وكان اصحاب الهندسة يستعملون نقوشًا على هيئة السوسن كما ورد ذكر ذلك مرارًا في الكتاب المقدس لاسيما في وصف هيكل اورشليم (٢. ومن اعمال سليمان انَّهُ زيَّن اروس عواميد الهيكل باشكال سوسنيَّة (٣ ملوك ٧: ١٩) وصنع بحر النحاس على مثال زهر السوسن (٧: ٢٦). وقد اتَّخذ بنو حشمناي السوسن كشعار لهم فرسموهُ في مسكوكاتهم (٣. امَّا الملوك فعمدوا الى السوسن وزيَّنوا بصورتهِ ثيابهم وصوالجهم وتيجانهم (٤. وفي القرون المتوسطة قد اختصَّهُ ملوك فرنسة فجعلوا زهرة السوسن المثلَّثة كعلاماتهم الخاصَّة ورسموها في كلّ آنيتهم وبنودهم واملاكهم بل انشأوا جمعيَّات فخريَّة

---

١) راجع اسفار السيِّد مسلين Mislin : *Les Saints-Lieux, ch. XIX* وستراند Strand: *Flora Palæstinæ* ولينش Lynch : *Exped. to Jordan*, p. 286 وثمسن Thomson : *The Land and the Book* I, 334 الخ

٢) راجع سفر الخروج ٢٥: ٣١—٣٤ و ٣٨: ١٧ — ٢٠

٣) راجع مسكوكات العبرانيين لدي سولسي De Saulcy

٤) راجع ديوسكوريدس وشعر مرسيال Dioscorides III, 16 ; Martial VIII, 28

ورهبانيّات وسموها باسم السوسن (L'Ordre du Lys : l'Ordre de N-D. du Lys) . وما يزيد السوسن فخرًا انّ الله عزّ وجلّ في الاسفار المقدسة ذكرهُ مرارًا ووصفهُ باوصافٍ فريدة لم تُنعت بها غيرهُ من الزهور فمن ذلك ما ورد في نشيد الانشاد عن العروس السريّة وختنها الالهي حيث يقول (٢ : ١ — ٣) : « انا سوسنة الاودية . كالسوسنة بين الشوك كذلك خلياتي بين البنات » وفيه (١ : ١٦) تهنئ العروس ختنها « الذي يرعى بين السوسن » وتصفهُ بقولها (٥ : ١٣) : « انّ شفتيه سوسن تقطران مرًّا ذكيًّا » وبقولها (٦ : ١) انهُ « نزل الى جنّتهِ الى روضة الاطياب ليرعى في الجنّات ويجمع السوسن ». ومن التشابيه الحسنة التي جاءت في نبوّة هوشع (١٤ : ٦) انّ الله مثّل قيامة شعبهِ على يد المسيح بسوسن يترطّب بالندى فيزهر . وكذلك شبّه ابن سيراخ (٣٩ : ١٩) الرجل البار بالسوسن المنوّر ذي العرف الطيّب اذ يقول للصدّيقين : «أزهروا كالزنبق واشهروا عرفكم » كما انهُ شبّه سمعان بن اونيا (٥٠ : ٨) « بزنبق على مجاري المياه او نبات لبنان في ايّام الصيف »

وقد احبَّ الربُّ في العهد الجديد ان يضرب بالسوسن مثلًا اذ قال في انجيلهِ الكريم (متّى ٦ : ٢٨) لمن جعلوا همّهم حطام الدنيا من المأكل والملبس : « لماذا تهتمّون باللباس . اعتبروا زنابق الحقل كيف تنمو انّها لا تتعب ولا تغزل وانا اقول لكم انّ سليمان في كلّ مجدهِ لم يلبس كواحدةٍ منها ». وقد اقتفت الكنيسة بآثار معلّمها فانها تشبّه بالزنبق ما تريد بيان بهائهِ وجمالهِ . وفي رتبها كثيرًا ما تمثّل قديسيها بالسوسن . وفي رتبة العذارى تدعوهنّ زنبقًا يتباهى المسيح برونقهِ . وتصف العذراء مريم امّ الله بانها بين النساء بمنزلة الزنبق بين الشوك

فممّا تقدّم يسهل حلّ مُشكل تضاربت فيهِ الآراء ألا وهو قول بعض المحدثين انّ السوسن الذي ورد ذكرهُ في التوراة ليس هو الزنبق الابيض الذي نحن بصددهِ بل زهرة اخرى زعم البعض انّها صنف من السوسن الاحمر (Lis Martagon) (١ . وذهب آخرون الى انّ الكتاب يعني شقائق النعمان (Anemone Coronaria L.) وقيل انهُ الحوذان (Ranunculus asiaticus L.) الى غير ذلك من الآراء التي لا

١) منهم فندلي Gard : *Chronicon*, II, 854 وسبرنغل Ant. Bot. spce. I, 9 وسبث في معجمهِ Dict. of the Bible *art* Lily.

حاجة لايرادها هنا. وفي ما ذكرنا سابقاً ما يفنّد هذه الآراء وينفي هذه المزاعم لانّ الاوصاف التي وردت في الاسفار المنزلة تطابق كلّ المطابقة السوسن الابيض ولا تصحّ في الزهور الاخرى. وزد على ذلك انّ قدماء المفسّرين والآباء وتقليد الكنيسة يؤيّد هذه الرأي. وقد وَهِم المحدثون بحيث استندوا قولهم الى حجّة واهنة فقالوا: انّ الكتاب المقدّس انّما يريد زهرةً نامية في الحقول ليست بأهليّة والسوسن الابيض لا ينمو سوى في البساتين والحدائق المنتظمة فاذن لا يصحّ نسبة قول الكتاب الى السوسن الابيض. والجواب على هذا الاعتراض سهل بعد ما ذكرنا عن نموّ الزنبق طوعاً في جهات عديدة من لبنان وسوريّة وفلسطين. امّا اعتراض البعض بان السوسن في اللغة العبرانيّة لا يراد به الزنبق الابيض فهو باطل لان اللفظة العبرانيّة هي نفس اللفظة العربيّة وقد سبق ان الكلمة العربيّة تعني الزنبق الابيض وقد اشتقّ اليونان من اللفظة اليونانيّة لفظة σούσινος يستعملونهُ نعتاً لدهن الزنبق. وقد اشتقّ اليونان هذه الكلمة من الفينيقيّة « سوسا » المدلول بها على السوسن الابيض فلم يبقَ اذن ادنى ريب بان السوسن الابيض هو المقصود من اصحاب الاسفار الالهيّة

٥ منافع السوسن الابيض

قد وقّف بعض كتبة عصرنا زرّاعي السوسن وبنوا شكايتهم على انّ هذا الزهر ليس منهُ فائدة تُذكر. (قلنا) انّ هذه الملامة تنبئ بسوء ذوق اصحابها. افليس للحُسن موضع او هل تعتبر الامور من حيث فائدتها فقط او ليست منفعةٌ كبرى ان يقرّ النظر برؤية هذه الزهرة الجميلة ويستنشق المرء رائحتها الفاغمة ويزيّن بها ديارَهُ

ولكن ما ادرانا بان السوسن قليل المنافع فانّ في النبات قوّاتٍ وخواصّ غريبة لم يعرفها الانسان حتى الان بالاختبار ولعلّ الاجيال القادمة تكشفها لخلفنا

وزد على ذلك انّ الاقدمين عدّدوا للسوسن منافع كثيرة بطل اليوم استعمالُها فمن ذلك ان ديوسقوريدس (ك ١ ف ٦٢) وبليني الطبيعيّ (ك ٢٣ ف ٤٩) وثاوفرستس (ك ٢ ف ٩٢) ذكروا انّ العطّارين في ايّامهم كانوا يستخرجون اجود الاطياب من الزنبق فيبيعونها بمالٍ وافر. وفي بعض جهات اقاصي آسية يُطبَخ بَصلهُ فيؤكل وفي طعمه حلاوة. امّا الاطبّاء القدماء فكانوا يطمُرون جذرهُ تحت الرماد الحارّ او يغلونهُ ثم يستعملونهُ كدواء. وكانوا يعصرون ايضاً زهرهُ ويستخرجون منهُ زيتاً ملينًا. وقال ابن

البيطار عن السوسن الابيض: انّ أصلهُ يؤخذ فيُشوى ويُسحق مع دهن الورد فيوضع على الموضع الذي يحرقهُ الماء الحارّ حتى يندمل ويبرأ. وهو من وجه آخر ايضاً دواء جيّد محمود ينجح في ادمال جميع القروح... اما ورق السوسن الابيض فانّهم يطبخونهُ ويضعونهُ... على سائر القروح الى ان تندمل وتنتخم آخر ختمها. وفي النـاس قوم يكبسون هذا الورق في الخلّ ويستعملونهُ في ادمال الجراحات... وقد يُشرب بزرهُ لضرر الهوامّ ويُنتفع به وقد يُدقّ البزر والورق دقّاً ناعماً ويُخاطان بشراب ويعمل منهُ ضماد نافع من الحمرة »

هذه بعض الفوائد التي تجتنى من السوسن الابيض. بيد انهُ يكفي لاهل سورية فخراً انّ الله عزّ وجلّ زيّن جبالهم بهذا النبات الجليـل وجعل في عداد زهر حقولهم البرّيّ ما يحسبهُ غيرهم من اجمل زهور البساتين كأنّهُ تعالى اتخذ ارضهم روضة غنّاء. فزيّنها كجنّات عدن بلا عناء الانسان ومشقّته

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر الامير عزّ الدين حسن ابن سعد الدين خضر

هو ثاني اولاد سعد الدين خضر وكان شجاعاً قويّ النفس ذا سطوة وحرمة وكان في بعض الاحيان يناقض اخاهُ ناصر الدين لعظم نفسهِ وكان ناصر الدين يُغضي عنهُ ولا يؤاخذهُ. وكان يقلّل من قنية الخيل فسُئل عن ذلك فقال: « خيلي في صندوقي توفّر العليق ومتى اردتُ اشتريتُها ». وعمّر القاعة التي ذكرناها والقبو الملاصق لها واراد ان يجلب الماء اليها فعمل قناةً فوق القناة التي صنعها اخوهُ ناصر الدين ولم يتمّمها. وقال لهُ اخوهُ: « لا تتعب في قناةٍ وانا أُعطيـك من الماء الذي جرى في قناتي ما يكفيك ». فأبى ذلك لقوّة نفسهِ وشرع في عمل القناة المذكورة ولم يكمّلها. وامّهُ بنت الشيخ العلّم تزوّجها والدهُ بعد وفاة امّ اخيهِ ناصر الدين وقد تقدّم ذكر ذلك (١. وكان مولدهُ ليلة الاحد السادس عشر من ذي الحجّة سنة ثلاث وتسعين وستمائة

(١ المشرق ١ : ٥٢٦